على سريره، ثم وضع على شفير حفرته، ثم كان الناس يدخلون عليه رفقاء رفقاء لا يؤمُّهم عليه أحد. قال الواقدي: حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم قال: وجدتُ كتاباً بخطّ أبي فيه: إنه لما كُفِّنَ رسول الله ﷺ وَوُضِعَ على سريره دخلَ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ومعهما نفرٌ من المهاجرين والأنصار بقدر ما يسع البيت، فقالا: السلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، وسلّم المهاجرون والأنصار كما سلّم أبو بكر وعمر. ثم صَفُّوا صفوفاً لا يؤمهم أحدٌ. فقال أبو بكر وعمر ـ وهما في الصف الأول حِيال رسول الله ﷺ ـ: اللهمّ إنا نشهد أنه قد بَلَّغَ ما أُنزِلَ إليه، ونصحَ لأمّته، وجاهد في سبيل الله حتى أَعزّ الله دينه، وتمت كلمته وأومن[1] به وحده لا شريك له، فاجعلنا إلٰهنا ممن يتبعُ القولَ الذي أُنزل معه، واجمع بيننا وبينه حتى تُعَرِّفَهُ بنا وتعرّفنا به[2]، فإنه كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، لا نبتغي بالإيمان به بديلاً، ولا نشتري به ثمناً أبداً. فيقول الناس: آمين آمين ويخرجون ويدخل آخرون، حتى صلّى الرجال، ثم النساء، ثم الصبيان. كذا في البداية (٥/ ٢٦٥). وأخرجه ابن سعد (٢/ ٦٩) أيضاً عن الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمي نحوه.

حديث علي في ذلك

وأخرج ابن سعد (٢/ ٧٠) أيضاً عن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عن أبيه عن جده عن عليّ رضي الله عنه قال: لما وُضع رسول الله ﷺ على السرير قال: لا يقومُ عليه أحدٌ، هو إمامكم حيّاً وميتاً، فكان يدخل الناس رَسَلاً رَسَلاً فيصلُّونَ عليه صفّاً صفّاً ليس لهم إمام ويكبرونَ، وعليٌ قائم بحيال رسول الله ﷺ يقول: السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته، اللهمَّ إنا نشهد أن قد بَلَّغَ ما نُزِّل إليه، ونصح لأمته، وجاهد في سبيل الله حتى أعزَّ الله دينه وتمّت كلمته. اللهمَّ فاجعلنا ممن يتبع ما أنزلَ إليه، وثبّتنا بعده، واجمع بيننا وبينه. فيقول الناس آمين، حتى صلّى عليه الرجال، ثم النساء، ثم الصبيان. كذا في الكنز (٤/ ٥٥).

حال الصحابة عند وفاته ﷺ وبكاؤهم على فراقه
بكاء أبي بكر وخطبته رضي الله عنه

أخرج ابن خسرو عن أنس رضي الله عنه قال: توفي رسول الله ﷺ فأصبح أبو بكر

(١) وفي أصل ابن سعد (٢/ ٦٩) فآمن به.
(٢) وعند ابن سعد: حتى يعرفنا ونعرفه.

رضي الله عنه يرى الناس يترامَسُونَ[1]، فأمر غلامه يستمع ثم يخبره. فقال: سَمِعْتُهُمْ يقولونَ: ماتَ محمد، فاشتدَّ أبو بكر وهو يقول: وا انقطاع ظهري، فما بلغ المسجد حتى ظنّوا أنه لم يبلغ. كذا في الكنز (٤/ ٤٨).

وأخرج عبد الرزاق وابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد والبخاري وابن حِبّان وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه خرج حين توفي رسول الله ﷺ وعمر رضي الله عنه يكلّم الناس، فقال: اجلسْ يا عمر، فتشهَّدَ ثم قال: أما بعدُ: فمن كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبدُ الله فإنَّ الله حيٌ لا يموت، فإن الله تعالى قال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ، أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ ـ الآية. قال: والله لكأنَّ الناسَ لم يعلموا أنَّ الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقَّاها منه الناس كلهم، فما تسمع بشراً من الناس إلاَّ يتلوها. وقال عمر بن الخطاب: والله ما هو إلا أنْ سمعتُ أبا بكر تلاها، فعَقِرْتُ[2] حتى ما تُقِلُّني[3] رجلاي، وحتى أهْوَيْتُ إلى الأرض وعرفتُ حين سمعته تلاها أن رسول الله ﷺ قد مات. كذا في الكنز (٤/ ٤٨).

حزن عثمان رضي الله عنه

وأخرج ابن سعد (٢/ ٨٤) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: توفي رسول الله ﷺ، فحزنَ عليه رجالٌ من أصحابه حتى كاد بعضهم يُوَسْوَسُ[4]، فكنتُ مِمَّنْ حَزِنَ عليه فبينا أنا جالس في أُطُم[5] من آطام المدينة ـ وقد بويع أبو بكر ـ إذ مرَّ بي عمر فلم أشْعُرْ به لِمَا بي من الحزن، فانطلق عمر حتى دخل على أبي بكر فقال: يا خليفة رسول الله، ألا أعَجَبُكَ! مررتُ على عثمان فسلمتُ عليه فلم يَرُدَّ عليَّ السلام ـ فذكر الحديث بطوله كما سيأتي في السلام.

حزن علي رضي الله عنه

وأخرج ابن سعد (٢/ ٨٤) عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع رضي الله عنه قال:

---

(١) «يترامسون»: من الرمس وهو كتمان الخبر.

(٢) «فعقرت»: أن يفجأ الرجلَ الروعُ فيدهش ولا يستطيع أن يتقدم أو يتأخر. عن «النهاية» (٣/ ٢٧٢).

(٣) «تقلني»: تحملني.

(٤) «يُوَسوس»: يختلط كلامهم ودهشوا بموته. «النهاية» (٥/ ١٨٧).

(٥) «الأطم»: بناء مرتفع وجمعه آطام «النهاية» (١/ ٥٤).

جاء عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً متقنعاً[١] متحازناً، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أراكَ متحازناً، فقال عليٌّ: إنه عناني[٢] ما لم يُغنِكَ! قال أبو بكر: اسمعوا ما يقولُ! أنشدكم الله! أترَوْن أحداً كان أحزَنَ على رسول الله ﷺ منّي؟!.

بكاء أم سلمة رضي الله عنها

وأخرج الواقدي عن أمّ سَلَمة رضي الله عنها قالت: بينا نحن مجتمعون نبكي لم ننم، ورسول الله ﷺ في بيوتنا ونحن نتسلّى برؤيته على السرير؛ إذ سمعنا صوت الكرّارين[٣] في السَّحَر؛ قالت أم سلمة: فَصِحْنا وصاح أهل المسجد: فارتجّتِ المدينة صيحة واحدة، وأذّن بلال بالفجر، فلما ذكر النبيّ ﷺ بكى وانتحب، فزادنا حزناً، وعالج الناس الدخول إلى قبره فغُلّق دونهم، فيا لها من مصيبة! ما أُصِبْنا بعدها بمصيبة إلا هانت إذا ذكرنا مصيبتنا به ﷺ!! كذا في البداية (٥/ ٢٧١)، ورواه ابن سعد مختصراً (٤/ ١٢١).

ضجيج أهل المدينة بالبكاء

وأخرج ابن منده وابن عساكر عن أبي ذؤيب الهذليّ قال: قدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج أهلّوا جميعاً بالإحرام فقلت: مه!؟ فقالوا: قُبض رسول الله ﷺ. كذا في الكنز (٤/ ٥٨). وأخرجه ابن إسحاق بطوله، كما سنذكر فيما قالت الصحابة على وفاته ﷺ.

حال الصحابة بمكة لما بلغهم الخبر

وأخرج سيف وابنُ عساكر عن عبيد الله بن عمير رضي الله عنه قال: ماتَ رسول الله ﷺ وعلى مكة وعملها عَتّابُ بن أسيد رضي الله عنه، فلما بلغهم موتُ النبيّ ﷺ ضجَّ أهل المسجد، فخرج عتّاب حتى دخل شِعْباً من شعاب مكة. فأتاه سهيل بن عمرو رضي الله عنه فقال: قُمْ في الناس فتكلّم، فقال: لا أُطِيقُ الكلام مَعَ مَوْتِ رسول الله ﷺ! قال: فاخرج معي فأنا أكْفِيكَهُ. فخرجا حتى أتيا المسجد الحرام، فقام سهيلٌ خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وخطبَ بمثل خطبة أبي بكر رضي الله عنه لم يخرم[٤] عنها شيئاً. وقد كان رسول الله

---

(١) «متقنعاً»: مغطياً رأسه. «النهاية» (٤/ ١١٤).

(٢) «عناني»: أهمني.

(٣) في «الطبقات» (٤/ ١٢١): الكرازين، وعلى هامشه. جمع كرزين وهو الفأس الكبير.

(٤) «يخرم»: يَدَع. «النهاية» (٢/ ٢٧).

ﷺ قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ وسهيل بن عمرو رضي الله عنه في الأسرى يوم بدر ـ: «ما يدعوك إلى أن تنزع ثناياه؟ دَعْهُ، فعسى الله أن يقيمه مقاماً يَسُرُّكَ!» فكان ذلك المقام الذي قال النبيّ ﷺ، وضَبط عمل عَتّاب وما حوله. كذا في الكنز (٧/ ٤٦).

حال فاطمة رضي الله عنها

وأخرج ابن سعد (٢/ ٨٤) عن أبي جعفر رضي الله عنه قال: ما رأيتُ فاطمة رضي الله عنها ضاحكةً بعد رسول الله ﷺ، إلا أنها قد تُمودي[1] في طرف فيها.

ما قالت الصحابة على وفاته صلى الله عليه وآله وسلم

قول أبي بكر: اليوم فقدنا الوحي

أخرج أبو إسماعيل الهرويّ في دلائل التوحيد عن محمد بن إسحاق عن أبيه: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال عند وفاة النبي ﷺ: اليوم فقدنا الوَحْيَ ومن عند الله عز وجل الكلام. كذا في الكنز (٤/ ٥٠).

قول أم أيمن في فقدان الوحي

وأخرج أحمد عن أنس: أنّ أم أيمن ـ رضي الله عنها ـ بكت لما قُبِضَ رسول الله ﷺ، فقيل لها: ما يُبْكِيكِ على النبيّ ﷺ؟ فقالت: إنّي قد علمتُ أن رسول الله سيموتُ، ولكني إنما أبكي على الوحي الذي رُفِعَ عنا.

وعند البيهقي من حديثه: قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه: انطلق بنا إلى أمّ أيمن نزورها. فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيكِ؟ ما عند الله خير لرسوله، قالت: والله ما أبكي أن لا أكون أعلم أنّ ما عند الله خير لرسوله، ولكن أبكي أنّ الوَحْيَ انقطعَ من السّماء، فهيّجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان. كذا في البداية (٥/ ٢٧٤). وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة ومسلم وأبو يعلى وأبو عوانة عن أنس مثله، كما في الكنز (٤/ ٤٨)، وابن سعد (٨/ ١٦٤) عن أنس نحوه. وعند ابن أبي شيبة عن طارق رضي الله عنه قال: لما قُبِضَ النبيّ ﷺ جعلت أم أيمن رضي الله عنها تبكي، فقيل لها: لم تبكين يا أم أيمن؟ قالت: أبكي على خبر السماء انقطع عنا. كذا في الكنز (٤/ ٦٠).

---

(١) «تمودي»: تحرك. «تاج العروس» (٩/ ١٩٤).

(٢) «الغضّ»: الطريّ الذي لم يتغير «النهاية» (٣/ ٣٧١).